اجتهادات
سُطوعُ لم يطل

أكملا دورة السطوع والخبوء فى عقدٍ واحد تقريبًا. لم يكن هذا مفاجئًا تمامًا. حمل اليسار الراديكالى الأوروبى عوامل هبوطه فى ذروة صعوده. وها هما حزباه، اللذان كانا الأكثر سطوعًا فى منتصف العقد الماضى، يخفتان وتزداد الشكوكُ فى قدرتهما على الاستمرار. صعد سيريزا اليونانى بسرعةٍ فور تأسيسه عام 2013، وكذلك بوديموس الإسبانى الذى أُنشئ بعده بسنةٍ واحدة.

لقى كلُ منهما هزيمةً قاسيةً فى الانتخابات البرلمانية التى أُجريت فى البلدين فى مايو الماضى. تزامُنُ فى الهبوط، كما فى الصعود. خفت نجم زعيميهما اللذين راهن عليهما كُثُر فى بلديهما وخارجهما. وصار بقاؤهما فى الساحة السياسية موضع شكٍ أيضًا.

جاء إليكسيس تسيبراس وبابلو إيجليزياس من خلفيةٍ ماركسية. كان كلُ منهما قائدًا سياسيًا خلال دراسته

الجامعية. عمل تسيبراس، الذى درس الهندسة المدنية، فى صفوف حركة الشباب الشيوعى. وقاد إيجليزياس، الذى درس العلوم السياسية، حركةً مماثلةً فى جامعة مدريد.

كانا مؤهلَين لاغتنام فرصة تراجع الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية، وقبلها الأحزاب الشيوعية0عمل كلُ منهما مع زملاءٍ له لتأسيس تيارٍ يسارى جديد لم يكن متجانسًا، وما كان له أن يكون، فى الحالتين كما فى حالاتٍ أوروبية أخرى. ضم شتاتًا من خلفياتٍ يسارية متعددة على أساس برنامج سياسى يعبرُ عما يكن أن نسميه يسار اليسار. ومن الطبيعى أن يؤدى عدم الانسجام فى المواقف مع الوقت إلى صراعاتٍ أسفر بعضها عن انشقاقات. فالبرنامجُ السياسى الجامع لا يكفى للاستمرار، مهما جمع، ما لم يستند إلى رؤيةٍ فكريةٍ واضحة ومُحدَّدة. لكن تعدد الخلفيات يخلق سيولةً تحولُ دون تبلور رؤية متماسكة يُسترشدُ بها فى تحديد اتجاه الحركة، خاصةً حين يكون الاختيار ضروريًا بين التشدد أوالمرونة فى لحظاتٍ قد تكون حاسمة.

ولهذا فليس غريبًا أن سيريزا أبدى مرونةً زائدةً فى لحظات كانت تستدعى صلابة، بينما غالى بوديموس فى تشدده فى أوقاتٍ كانت المرونةُ فيها ضروريةً إلى حد أنه وُصف مراتٍ بأنه حزب «كيخوتى» أراد محاربة طواحين الهواء.

ربما لم يحن الوقت بعد لنقول لهما وداعًا. ولكن الأكيد أنهما لن يسطعا مُجّددًا.